د. عبدالوهاب المسيري بين دعاوى الأسلمة وإطروحات العلمنه: دراسة في التناقض المعرفي في المشروع الفكري للمسيري

د. عصام حجازي

دكتوراه الأدب المقارن– مدرس بكلية الألسن– قسم اللغة الأنجليزية

جامعة قناة السويس

ملخص

يناقش هذا البحث فكرة التحديد الأيديولوجي والحضاري لفكر الدكتور عبدالوهاب المسيري ويتناول بالتحليل الوصف السائد له بأنه كاتباً إسلامياً (كما هو شائع) وأنه من المعادين للفلسفة العلمانية بكل أشكالها النمطية في الغرب أو في الشرق، كما يسعى البحث إلى تحليل مدى سلامة تلك المقولة إستناداً إلى أفكار المسيري وإطروحاته التي ناقشها في كتاباته، فهل كان المسيري (من خلال كتاباته وأبحاثه) كاتباً إسلامياً أم كاتباً علمانياً؟ كما يسعى البحث إلى رصد نقاط التناقض المعرفي في طرح الدكتور المسيري لمفهومي "العلمانية الجزئية" و"العلمانية الشاملة"، حيث نادى المسيري بتبني العلمانية الجزئية كبديل وإطار مفاهيمي لما أسماه العلمانية الشاملة.

الكلمات المفتاحية: المسيري– العلمانية الجزئية– العلمانية الشاملة– تاريخ الأفكار– الفلسفة الإسلامية.

Abstract

This research deals with the idea of the ideological and civilizational definition of the thought of Dr. Abdel Wahab El-Mesiri, and deals with the analysis of his prevailing description as an Islamic writer (as is common) and that he is repugnant to secular philosophy in all its stereotypical forms in the West or in the East. The research also seeks to analyze the validity of that saying based on Elmessiri's ideas and theses that he discussed in his writings. Was Elmessiri (through his writings and research) an Islamic writer or a secular writer? The research also seeks to monitor the points of cognitive contradiction in El-Messiri's proposition of the concepts of "partial secularism" and "comprehensive secularism", where El-Messiri called for the adoption of partial secularism as an alternative and conceptual framework for what he called comprehensive secularism.

(ISSN: 2536 - 9555)

مقدمة

يتناول هذا البحث فكرة التحديد الأيديولوجي والحضاري لفكر الدكتور عبدالوهاب المسيري ويتناول بالتحليل الوصف السائد للعالم الجليل بأنه كاتباً إسلامياً (كما هو شائع) وأنه من المعادين للفلسفة العلمانية بكل أشكالها النمطية في الغرب أو في الشرق، كما يسعى البحث إلى تحليل مدى سلامة تلك المقولة إستناداً إلى أفكار المسيري وإطروحاته التي ناقشها في كتاباته، فهل كان المسيري (من خلال كتاباته وأبحاثه) كاتباً إسلامياً أم كاتباً علمانياً؟ كما يسعى البحث إلى رصد نقاط التناقض المعرفي في طرح الدكتور المسيري لمفهومي "العلمانية الجزئية" و"العلمانية الشاملة"، حيث نادى المسيري بتبني العلمانية الجزئية كبديل وإطار مفاهيمي لما أسماه العلمانية الشاملة.

التناقض المعرفي في طرح الدكتور المسيري لمفهوم العلمانية واضح في كتاباته في العديد من أعماله، نجد المسيري يقسم العلمانية إلى شقين هما العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، وفي إطار تحليله لبنية التفكير العلماني الجزئي، يرى المسيري أنه لا تعارض تماماً بينه وبين مفهوم العلمانية الجزئية والتي يراها تعاملاً طبيعياً مع الكون ولا تصطدم مع وجود الإنسان وإيمانه بفكرة التجاوز وفصله لمفهوم الدين عن الدولة، بينما يعرف المسيري العلمانية الشاملة بأنها فصل القيم عن كل جوانب الحياة على كل المستويات، وسوف يتناول البحث كل تلك النقاط بالشرح والتفصيل.

وقد إستطاع البحث رصد خمسة جوانب أو محاور للتناقض المعرفي في الرؤية المفاهيمية للمسيري لما أسماة بالعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة:

محاور التناقض

المحور الأول: المرجعية

في سياق نقده للرؤية المعرفية الغربية، إنتهج الدكتور المسيري نهجاً جديداً في قراءة الفكر الغربي الحديث فعمد إلي دراسة ما يسمى بالنموذج الكامن وراء مفاهيم ومصطلحات الخطاب الفلسفي الغربي بدأً من عصر النهضة حتي أواخر القرن العشرين. وبناءً على تجريد هذا النموذج، إستطاع الدكتور المسيري فك شفرة الخطاب الغربي والتوصل إلي نموذج تفسيري يمكنه من فهم الخطاب الفلسفي الغربي وفهم منطلقاته وابعاده المعرفية. ومن تلك النقطة تحديداً (اقصد النموذج الكامن) قام الدكتور المسيري بإعادة تعريف مفاهيم العلمانية والحداثة الغربيتين كما قام برصد التطور في الخطاب الفلسفي الغرب فيما يخص مفاهيم العلمانية وتوقف عند نقطتين محوريتين:

١- تصور أن العلمانية "مجموعة أفكار وممارسات واضحة"، الأمر الذي أدى إلى إهمال عمليات العلمنة الكامنة والبنيوية[١].

٢- تصور العلمانية بإعتبارها "فكرة ثابتة، لا متتالية آخذة في التحقق"، فالعلمانية لها تاريخ، الأمر الذي يعني أن الدارسين- كلاً حسب لحظته الزمنية- درسوا ما هو قائم وحسب دون أن يدرسوا حلقات المتتالية[٢]".

وإنطلاقاً من النقطتين السابقتين، قام المسيري بإعادة تفسير مصطلح العلمانية ووجد أن هناك علمانيتان لا علمانية واحدة، تتحرك إحداهما من خلال الأخري وقد رأى المسيري هاتين العلمانيتين "كدائرتين متداخلتين: الأولى صغيرة (ونشير إليها بالجزئية) والأخرى كبيرة (ونشير إليها بالكلية او الشاملة)"[٣] ويعتقد المسيري انه لا يوجد تصادم او تعارض بين مفهوم العلمانية الجزئية والتدين، ويعلق:

---

[١] عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨، صـ١٥.

[٢] السابق، صـ١٥.

[٣] السابق، صـ١٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

يتحدث بعض اصحاب هذا التعريف من (أنصار العلمانية الجزئية) عن أنه لا تعارض في واقع الامر بين العلمانية واالتدين وأن بإمكانهما التعايش معاً. وهو أمر ممكن بالفعل إذا كان المعنى هو مجرد تمايز بعض جوانب المجال السياسي والإقتصادي عن المجال الديني...وأعتقد أن كثيراً ممن يتصورون أنهم أعداء للعلمانية سيقبلون هذا الفصل او التمايز، إذا ما تأكدوا ان العلمانية (فصل الدين عن الدولة) مسالة تنطبق على الأليات والإجراءات الفنية وحسب **ولا تنطبق بأية حال على القيمه الحاكمة والمرجعية النهائية للمجتمع والدولة.** أي أن من الممكن أن تقبلوا فصل بعض جوانب المجال السياسي والإقتصادي بل بعض جوانب السلوك الإنساني– عن الدين طالما أن المرجعية النهائية هي مرجعية متجاوزة للدنيا وللرؤية النفعية النسبية المادية[٤].

يتضح من خلال التعريف السابق للعلمانية الجزئية أن ما يقصدة المسيري هو فصل بعض جوانب الحياة السياسية او الإقتصادية عن الدين دون إنكار لأي مرجعية متجاوزة وهنا تبرز أولى نقاط الإحتكاك مع فكر المسيري فما هي محددات فصل السياسي والاقتصادي عن الديني هل هي الأمور الإجرائية الفنية؟ ثم ماذا إذا تناقض السياسي والإقتصادي مع الديني؟ ولمن تكون المرجعية ؟ وماذا عن الدور التشريعي للدولة وأليات التشريع هل سيتم فصل التشريع عن الدين أم يتدخل الديني على حساب الدولة والسياسة؟ وماذا إذا تعلق الأمر بتحديد مرجعية الدولة كما يحدث عند كتابة دستور البلاد؟ وتبرز ضبابية هذا التعريف عندما يتابع المسيري بحثه الإستكشافي لماهية العلمانية وآلياتها عندما يقول إن العلمانية الجزئية "تلتزم الصمت بخصوص القضايا النهائية"[٥]، فما معنى الصمت هنا؟ وما القصد وراء تعريف المسيري للعلمانية الجزئية عندما يقول أنها "

[٤] السابق، صـ ١٩.

[٥] السابق، صـ ١٧.

العلمانية (فصل الدين عن الدولة) مسألة تنطبق على الآليات والإجراءات الفنية وحسب"، هل يعني ذلك اننا عندما نريد أن نستشير أحداً في امور فنية تتعلق بالإقتصاد او بالجوانب البيروقراطية في إدارة الدولة علينا أن نذهب للمختصين لا لرجال الدين او شيوخه؟ ويرى الباحث إن الارتباك المعرفي بل والعجز في طرح البديل الإسلامي، الذي سعى المسيري لموضعة فكرة في إطارة، يبدو جلياً في قول المسيري إن العلمانية الجزئية تلتزم الصمت تجاة القضايا النهائية، فهنا تكمن الرؤية المحورية للفرد والمجتمع عند المسيري، كما تبرز بشده نقاط التنافر في إطروحتة، فما هي مرجعية المجتمع عند الإحتكام في القضايا الكبري وماهي المعايير التي يستند إليها الفرد في المواقف الجدلية والخلافية؟ فهل سيحتكم إلى حكم الوحي ام يركن إلي إعمال العقل وما الحل إذا اصطدم رأي العقل بقول الوحي؟ و لمن تكون المرجعية؟ ومن هنا تتضح إولى نقاط التنافر في طرح المسيري لمفهوم العلمانية الجزئية التي يعترف في شقها الأول بالتدين وبتصالح المفهوم مع فكرة الدين بينما يتجاهل في شقها الثاني مرجعية التدين وطبيعته وقدرته على التدخل في رقعة الحياة العامه.

المحور الثاني: التجاوز

عندما يؤكد الدكتور المسيري على أنه لا تعارض ولا تنافر "في واقع الأمر بين العلمانية واالتدين" ما دامت المرجعية النهائية هي "مرجعية متجاوزة للدنيا وللرؤية النفعية النسبية المادية" فهنا نستطيع أن نقرأ دلالاتين: **أولاهما** أن الدكتور المسيري يختزل كل الحلول لمشاكل العلمانية في مرجعية التجاوز وحسب **وثانيهما** أنه يساوي بين كل أنواع التجاوز سواء كان هذا التجاوز ميتافيزيقياً أو دينياً أو غيرذلك. فما يمكن أن يعد حلاً إسلامياً مرتكز على أوامر الوحي وتشريعاته يتساوى، عند الدكتور المسيري، مع أي مرجعية إخري قد تأتي برأي مخالف بل ومناقض مادامت تؤمن بالتجاوز. ويرى الباحث أن هذا المحور

(ISSN: 2536 - 9555)

(التجاوز) يفسح المجال لعدد لا نهائي من الإطروحات والقوانين الوضعية والدينية التي قد تتضارب وتتصارع فيما بينها من قيم حاكمة او مرجعية نهائية ومن ثم تغدو فكرة التجاوز المجرده من أي مرجعية هي فكرة رخوة، إن لم تكن سائلة، في تحديد ثوابت الخطاب المعرفي المهيمن علي المجتمع. فوفقاً لرؤية المسيري– التي يراها لا تصطدم بالإسلام أو بالدين– يستوي الإطارالمعرفي البوذي او الهندوسي مع الإطارالمعرفي الإسلامي طالما إتفقوا جميعاً على القدرة على التجاوز وتحقيق الثنائية الصلبة بين الإنسان/الطبيعة، الإنسان/الخالق او الجسد/الروح. ومن جانب أخر، نجد المسيري يؤكد علي فكرة التجاوز كطوق نجاة للإنسان بغض النظر عن طبيعة هذا التجاوز، فمن المنظور الإسلامي لا تكتمل غائية الإنسان ولا يحقق هدفه إلا بتصالحه مع ربه أولاً ومع نفسه ثانياً[٦] أما من خلال مفهوم "المرجعية المتجاوزة للدنيا وللرؤية النفعية النسبية المادية" لا يشترط بل لا يلزم ان يكون هناك رؤية سماويه لإعتراف الإنسان بخالقه بل يكفي أن يتسم الانسان بالقدرة علي التجاوز الميتافيزيقي ليصبح متساوياً– في الرؤية المعرفية والدلالية– للمنظور الإسلامي كما يتضح من إطروحة المسيري. ومن الجدير بالذكر أن ما توصلنا إليه من توصيفات لفكر المسيري لم يقرره الباحث الكبير مباشرة أو يطرحه هكذا مجرداً بل هو ما يمكن ان نصطلح عليه بأنه تجريد للنموذج الكامن في فكر المسيري الذي يعتمد علي التجاوز المحض حتي وإن موضعه في سياق الخطاب الإسلامي. ويعتقد الباحث أن فكرة المرجعية المتجاوزة للدنيا وللنفعية النسبية غير كافية لإقامة نموذج إنساني أخلاقي– كما اطلق المسيري علي علمانيته الجزئية التي سماها العلمانية الأخلاقية او العلمانية الإنسانية– يؤسس لحياة إنسانية سوية. فغياب المرجعية الحاكمة او تماهي تلك المرجعية مع مرجعيات إخرى

[٦] محمد الغزالي، "الحضارة بين الإيمان والإلحاد"،
http://www.alghazaly.org/index.php?id=146

يجعلنا نكرر نفس الأخطاء التي كررها السابقون ومع تطور المتتالية العلمانية سوف تتآكل تلك المرجعيات من تلقاء ذاتها ومع إتساع ما أسماه المسيري بعملية التعلمن البنيوي الكامن، سوف نجد أنفسنا في مواجهه علمانية شاملة جديدة تؤدي إلي واحدية مادية ثم حالة من السيولة والتفكيك وإنعدام المركز وهلم جرا. ومن هنا يتضح قصور مرجعية التجاوز المجرد التي قد تصح نظرياً إلا انها تثبت فشلاً ذريعا عند رصد معدلات تحققها وقدرتها علي مقاومة عناصر العلمنة الكامنه في المجتمعات البشرية[٧] فهي لا تعالج قضايا الإغتراب والفساد الأخلاقي والتفسخ وعدم الإنتماء كما إنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب فلا نأبه لأخلاقيات المجتمع ولأليات التعلمن الكامنه فيه.

المحور الثالث: تناقض شقي المتتالية العلمانية

يتبدى التناقض المعرفي في طرح الدكتور المسيري لمفهوم العلمانية الجزئية كبديل او مقابل لما أسماه العلمانية الشاملة من خلال شرح المسيري نفسه لما أطلق عليه "المتتالية النماذجية العلمانية"[٨]. ولكي نفهم هذا التناقض، علينا ان نتبين أولاً ما يقصده المسيري بالمتتالية النماذجية العلمانية. يوضح المسيري هذا المفهوم بقوله إنه من أجل فهم مصطلح علمانية بشكل دقيق، علينا ان نعي دلالة المصطلح كما هو متحقق لا كما هو معرف في المعاجم والموسوعات. ولكي نخرج من مأزق عجز الدال عن تعريف مدلولة، تخيل المسيري أن هناك "متصل من المدلولات في اقصى أطرافه ما نسميه "العلمانية الجزئية" وفي الطرف الآخر ما نسميه "العلمانية الشاملة". وتتشابك المدلولات فيما بينها وتختلط وتتشابه... ولكن رغم تداخل المصطلحين فهما– كما اسلفنا– طرفان في متصل واحد"[٩]. ثم

---

[٧] عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مرجع سابق صـ١٩٧.

[٨] السابق، صـ٢٢٢.

[٩] السابق، صـ ٢٢٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

يقدم المسيري تحليلا للعلمانية الجزئية وفقاً لتلك المتتالية ويقدمها على أنها رؤيه جزئية تلزم الصمت تجاة مرجعية المجتمع والحياة ولا تنكر أي مطلقات او كليات متجاوزة ومن ثم فهي لا تدعي رؤية شاملة للكون او للإنسان بل تقتصر على صياغة بعض جوانب حياته وتلزم الصمت تجاة الجوانب الآخري للحياة. ثم يميز المسيري بينها وبين العلمانية الشاملة التي تفرض رؤية صارمة على الإنسان وتحاول طمس كل جوانب التجاوز الإنساني والديني والأخلاقي وتدور في إطار الفكرة الكمونية والمرجعية الواحدية التي ترتكز علي الطبيعة/ المادة. وفي تناقض مدهش، يعقب المسيري علي تحليله للعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة وكيفية الفصل بينهما وتمايز كل منهما عن الإخري بقوله إن العلمانية الجزئية هي الخطوة الأولى في الطريق للعلمانية الشاملة بمعني أن تبني العلمانية الجزئية قد لا يمثل تهديداً لأفكار التجاوز وللطرح المعرفي لرؤية الإنسان في مرحلة ما ولكن مع تطور آليات العلمنه البنيوية الكامنة، تستحيل العلمانية الجزئية إلى علمانية شاملة وفقاً لأليات التراكم والتطور التاريخي والإقتصادي والتكنولوجي ومن هنا جاءت فكرة المتتالية النماذجية العلمانية[١٠]. فالعلمانية تتبدى كنموذج متراكم ومتولد في الآن ذاته، ومما يؤكد ما لاحظناه من وجود تناقض معرفي في فكر الدكتور المسيري في طرحة للمفهوم العلماني الجزئي والشامل هو ما قاله الدكتور المسيري في تحليله للمتتالية العلمانية النماذجية عندما أوضح:

والفرق بين ما نسميه "العلمانية الجزئيه" ومانسميه "العلمانية الشاملة" **هو في واقع الامر الفرق بين مراحل تاريخية لنموذج واحد**. فالعلمانية ليست نموذج ثابت، وإنما ظاهرة لها تاريخ، وتظهر من خلال حلقات متتابعة. ولذا فبدلاً من أن نتحدث عن نموذج العلمانية (ومصطلح "نموذج" يدل على قدر كبير من الثبات) يجدر بنا ان نتحدث عن متتالية نماذجية، تتحقق عبر الزمان وفي المكان.

[١٠] السابق، صـ٢٢٢.

ويمكننا القول إنه في المراحل الاولى من هذه المتتالية تسود العلمانية بالجزئية، حينما يكون مجالها مقصوراً على المجالين الإقتصادي والسياسي... ولكن في المراحل الأخيرة ومع تزايد قوة الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة، وتمكنها من الوصول للفرد وإحكام القبضة عليه من الداخل والخارج ومع إتساع مجال عمليات العلمنة وضمور المطلقات وإختفائها... تظهر العلمانية الشاملة في مرحلتيها الصلبة والسائلة[١١].

ومن التحليل السابق للمتتالية العلمانية، يمكننا أن نستخلص دلالتين: **أولاهما** أن طرح الدكتور المسيري للعلمانية الجزئية كبديل للعلمانية الشاملة هو طرح غير واقعي لانه يستند علي أسباب غير متحققه في الواقع ويتعامل مع حقائق لا تتفق مع معطيات تعريفه للعلمانية الجزئية. فعندما يقول الدكتور المسيري إن العلمانية الجزئية تتحقق في المراحل الاولي للمتتالية العلمانية حينما تتسم مؤسسات الدولة بالضعف وتعجز عن غزو حياة الإنسان وتعجز آليات العلمنة الكامنة عن إستنفار الطبيعة المادية الكامنة في كل إنسان وفي كل المجتمعات على حد تعبير المسيري[١٢]، عند تلك النقطة تحديداً، يرى المسيري ان العلمانية الجزئية قابلة للتحقق وقياساً على الواقع المعاش وعلى رصد المسيري لتغول دور الدولة وتعاظم دور قطاع اللذة (الإعلام– السينما– السياحة، كما اسماه المسيري في نقده للحداثة والعلمانية) في علمنة وجدان الإنسان، يعجز طرح المسيري عن مواجهة أو مقاومة آليات العلمنة البنيوية الكامنة او الظاهرة على السواء. **أما الدلالة الثانية** فهي أن تبني العلمانية الجزئية كبديل للعلمانية الشاملة هو "تحصيل حاصل" بمعنى انها ستؤدي، في التحليل الأخير، إلي تحقق العلمانية الشاملة وفقاً لما أسماة المسيري "المتتالية العلمانية النموذجية". ومن جانب آخر يتضح إرتباك المسيري في طرح

---

[١١] السابق، صـ٢٢٢.

[١٢] السابق، صـ١٩٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

بديل مفاهيمي/معرفي/(إسلامي) فعال للعلمانية الجزئية من خلال عجز المسيري عن إجابة بعض الأسئلة التي طرحها في دراسته العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (٢٠٠٢). ففي تلك الدراسة الموسوعية، يطرح المسيري العديد من الأسئلة التي يتركها بلا إجابات على الرغم من إرتباطها الشديد بموضوع البحث. يتساءل المسيري:

وهناك من يطرح سؤالاً شديد الأهمية والخطورة وهو: هل الإنتقال من العلمانية الجزئية إلى العلمانية الشاملة مسألة حتمية؟ وهل مثل هذا الإنتقال أمر "ممكن ومتيسر" في عالمنا العربي والإسلامي، بميراثنا الديني والأخلاقي الطويل والعميق؟ وهل هو أمر مرغوب فيه؟ وهذه كلها أسئلة مشروعة ومهمة، جديرة بالطرح والتفكير فيها والإجابة عليها في نهاية الأمر[١٣].

وتبقى الاسئلة بلا أجوبة ويمضي المسيري لطرح آفاق للبحث متجاهلاً كل تلك المحاور والجوانب المهمة التي وضعها في شكل تساؤلات لم يجد لها جواباً وإستمرفي رصده للعلمانية ولمحاولاته للفصل في الخلط المربك بين العلمانية كمفهوم وكممارسة.

المحور الرابع: الدين بين إثبات الوجود ونفي التاثير

حاول المسيري بشكل عام أن يموضع "إطروحاته وأفكارة في الإطار الإسلامي"[١٤]، ومن ثم وجد أن مفهوم العلمانية الجزئية لا يصطدم بالدين ولا يثير غضب المتدينين بحسب ما يرى المسيري. ويرى الباحث أن هذا التصالح المفترض بين العلمانية الجزئية والتدين قد يكون مقصوراً على مستوى التعريف فحسب لا على مستوى الممارسة. فعلى الصعيد النظري، تعترف العلمانية الجزئية

[١٣] السابق، صـ٢٣٢.

[١٤] سعد البازعي، "الأخ الأستاذ عصام حجازي"، رسالة من سعد البازعي إلى الباحث نشرت في الملحق الثقافي لجريدة الجزيرة السعودية بتاريخ ١٢-٤-٢٠١٢.

بالدين وعلى الصعيد العملي لا تلتزم الفكرة العلمانية الجزئية بتعاليم هذا الدين إن وجدت. وإذا أخذنا الدين الإسلامي كنموذج للتدين الذي يراه المسيري غير متصادم مع العلمانية الجزئية لوجدنا أن البون يتسع بين النظرية والتطبيق او بين المفهوم والممارسة. فعندما ينادي المسيري بالإعتراف بالدين لا يتحدث عن أي إلتزام مبدئي بثوابت هذا الدين بإستثناء فكرة التجاوز التي هي لصيقة بالدين. وينتقد المسيري العلمانية الشاملة لأنها تتبنى بل تحفز أليات العلمنة البنيوية الكامنة في المجتمعات البشرية، كما ينتقد المنهج العلماني الشامل في إعادة صياغة صورة الإنسان عن نفسه خاصة مع تعاظم ما أسماه المسيري بقطاع اللذه ودورة المتنامي في علمنة وجدان الإنسان، ويتوقف المسيري عند نقطة اساسية في الخطاب العلماني الشامل وهي صناعة النموذج أو القدوة أو البطل في الإعلام عن طريق إستضافة بطلات الإغراء والفنانات ليتحدثن عن تجاربهن في الحياة وليتحدثن عن عدد مرات زواجهن، يعلق المسيري:

وما قولكم في هذه النجمة السينمائية المغمورة (أو الساطعة) التي تحدثنا عن ذكريات طفولتها وفلسفتها في الحياة وعدد المرات التي تزوجت فيها وخبراتها المتنوعة مع أزواجها، ثم تتناقل الصحف هذه الأخبار وكأنها الحكمة كل الحكمة! وقد تحدثت إحداهن مؤخرا عما سمته "الإغراء الراقي"، مما يدل على عمقها الفكري الذي لا يمكن أن تسبر أغواره. أليس هذا أيضاً علمنة للوجدان والأحلام إذ تحوَّلت النجمة إلى مصدر للقيمة وأصبح أسلوب حياتها هو القدوة التي تُحتذى، وأصبحت أقوالها المرجعية النهائية؟ وقد يكون وصف أقوال هذه النجمة بأنها منافية للأخلاق أو للذوق العام وصفاً دقيقاً، ولكنه مع هذا لا يُبيّن الدور الذي تلعبه النجمة وأفكارها في إعادة صياغة رؤية الإنسان لنفسه وتَصوُّره لذاته وللكون بشكل غير واع– ربما من جانبها ومن جانب المتلقي معا[١٥].

[١٥] عبدالوهاب المسيري، "بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة"،

(ISSN: 2536 - 9555)

ووفقاً للإقتباس السابق، فإن المسيري يتحفظ على– إن لم يكن يرفض– وضع نجمات الإغراء في موضع يسمح بتسويقهن إعلامياً لأنهن يصبحن مصدراً للقيمة ويلعبن دوراً بشكل واع او غير واع في تشكيل مرجعية المتلقي. إلا أن المسيري يناقض هذا الطرح مرة إخري عندما يتصدي في كتابة دراسات معرفية في الحداثة الغربية (٢٠٠٦) لتحليل بعض قيم الثقافة الشعبية في مصر وجاء لعرض بعض النقد لفيلم "خلي بالك من زوزو" (وهو فيلم علماني بإمتياز)، نجد د. المسيري يحلل شخصية البطلة (الراقصة) ويتحدث عنها بإعجاب شديد وبأن رقص البطلة هو نوع من الرقص الذي لايثير الشهوة. يناقش الدكتور المسيري شخصية البطلة (الراقصة) بقوله:

يستخدم فيلم "خلي بالك من زوزو" الرقص البلدي ولكن بطريقة جديده كل الجدة، فالرقص هنا ليس مجرد رقص بل هو رمز لعالم بأكمله آخذ في الإندثار...وزوزو تنتمي إلى هذا العالم المندثر، ولكنها تحاول جاهدة الخروج منه، فهي راقصة شرقية و(عالمة) ولكنها طالبة متحضرة ومثقفة. فالرقص هنا ليس مجرد وسيلة لإبتزاز الجمهور بل هو اداة فنية لها مضمون وسياق ونحن مطالبون بأن ننظر إلى الرقص في هذا الفيلم نظره جديدة ولذلك فحتى ترقص زوزو "العالمة" بطريقة تقليدية فإن إستجاتنا لا تكون تلك الإستجابة الغريزيه التقليدية. وقد عالج الفيلم نفسة هذا الجانب في ذلك المشهد الذي نرى فيه ذلك السكير الكرية الذي يحتسي جرعات الويسكي ثم يهاجم زوزو ويمسك بها بطريقة فظة بهيمية، وينتهي المنظر بزوزو تحتج على إمتهان إنسانيتها. فنحن إن إستجبنا للرقص بالطريقه التقليدية، فإننا نجد أنفسنا في نفس المعسكر مع هذا الحيوان الكريه، ولكن لأننا لا نحبذ مثل هذا المصير فإننا نعدل من إستجابتنا وننظر إلى هذا الرقص بشئ من الإحترام[١٦].

---

http://www.elmessiri.com/articles_view.php?id=31

[١٦] عبدالوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧، صـ٣١٥.

وطبقاً لهذا الإقتباس، فإن المسيري يتناقض مع رؤيته مرتين: **أولاهما** عندما يثني على سلوك يصطدم بشده مع رؤيته الدينيه في العلمانية الجزئيه وفي الإطار الإسلامي الذي سعي لموضعة افكاره خلاله. **ثانياً** عندما يتناقض المسيري مع رأيه الشخصي الذي يعترض على علمنة الوجدان من خلال صناعة النموذج/ القدوة الذي يجعل من صاحبه مرجعية نهائية وقيمة حاكمة تؤثر في المتلقي وفي علمنة وجدانة، خاصة عندما يتحدث المسيري عن فنون الرقص والقيم التي تحملها الراقصة والتي إنتقد دور قطاع اللذة في تعظيم دورها.

وفي تصوري ان هذا التناقض المعرفي هو تناقض "طبيعي" أو متوقع لأن الدكتور المسيري هو كاتب علماني وليس مفكراً إسلامياً، فالدكتور المسيري هو مفكر مسلم وليس إسلامياً والفرق كبير بين كلا المفهومين فالكاتب الإسلامي هو من يتبنى الإسلام إطروحة ومنهجاً ومرجعية وقد يطلق هذا اللقب مثلاً على سيد قطب او د. محمد عمارة أو الشيخ الغزالي فهؤلاء المثقفين يتبنون الإسلام والنص القرآني والحديث النبوي كإطار مرجعي حضاري يساهم في طرح حلول لأزمة الإنسانية ويضع حداً لمعاناة الإنسان المعاصر الذي ضللته المادة وغرتة منجزاتة العلمية والتراكم المعرفي الكبير وعلى عكس هؤلاء المفكرين، لا يطرح المسيري حلاً إسلامياً كرؤية مفاهيمية لأزمة الإنسان المعاصر وإنما يقول علينا أن نرجع إلى ما كانت عليه العلمانية الجزئية في مرحلة الثنائية الصلبة وقد نري مايعزز غياب الطرح الإسلامي في أعمال المسيري من قلة الإستشهاد بالأحاديث النبوية والنصوص القرآنية في أعمال المسيري فالكتاب الإسلاميين تمتلئ كتبهم وأبحاثهم بالعشرات من الإستشهادات المستمده من الكتاب والسنة والتراث الإسلامي، ويتبنون الحلول المستلهمة من القرآن والأثر النبوي كإطار لطرح مفاهيمهم وتمتلئ صفحات كتبهم بالتفسيرات والآيات التي تتناول قضايا الإيمان والغيب والآخرة والعمل، بينما تغيب كل تلك الإقتباسات في أبحاث وأعمال الدكتور المسيري وما

(ISSN: 2536 - 9555)

يبقي عند الدكتور المسيري هو ثقافة الفطرة التي يطرح من خلالها مفاهيم القيم والإلتزام والعدالة فالدكتور المسيري هو كاتب مسلم يؤمن بالإسلام ويؤمن بفطرة المسلم، ولكنه لا يتبنى الإسلام كمرجعية أو إطار حضاري يسعى لإخراج الإنسان المعاصرمن أزماته.

المحور الخامس: التغريب بين العلمنة الجزئية والشاملة

يعرف الدكتور المسيري مصطلح التغريب عن طريق ربطه بمصطلح العلمنه فيقول:

وقد لوحظ، في العالم الثالث، أن ثمة تداخلاً بين "مصطلح علمنة" ومصطلح "westernize" أي يغرب "بمعنى يفرض أنماط الحياة الغربية وأساليبها" وحيث إن المعايير السائدة في الحضارة الغربية الحديثة هي المعايير العلمانية، وحيث إن المجتمعات الغربية الحديثة هي المجتمعات الاولى التي طبقت هذه المعايير وتصاعدت فيها معدلات العلمنة... وفي العالم الثالث، تؤدي العلمنة في معظم الاحيان إلى التغريب، وإستخدام العلم والتكنولوجيا المنفصلين عن القيمة. لكل هذا، يوجد تداخل كبير يقترب من حد الترادف بين "يعلمن" و"يغرب"[١٧].

إن الحديث عن التلازم او الترادف بين العلمنة والتغريب يستدعي للذهن موقف الدكتور المسيري من الحركة التغريبيه في الوطن العربي، فالمسيري مشهود له بالمواقف الوطنية والقومية التي ينحاز فيها– عن وعي او بدون وعي– إلى موروثه الحضاري والثقافي. ومن هنا تنبع نقاط التوتر في مفهوم المسيري للعلمنة الجزئية التي تسمح بتسرب قدر غير قليل من التغريب على المستوي الإقتصادي والسياسي على الأقل في المجتمع. فغياب مرجعية محددة أو حاكمة في العلمانية الجزئية يجعلها تسمح بإستيراد قيم ومعايير وأنظمة مغايرة بل ومتصادمه مع الأعراف السائدة في مجتمع ما. ومن خلال مفهوم العلمانية الجزئية، يمكن رصد

[١٧] عبدالوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مرجع سابق، صـ٦٢.

دلالات التغريب الكامنة في طرح المسيري على عدة مستويات. **أولاً** على مستوى المصطلح (العلمانية الجزئية)، إن المفكرين الإسلاميين يستنكرون إستخدام مصطلح علمانية (سواء جزئية أو شاملة) عند التحدث عن الدولة الإسلامية، وهم عندما ينكرون ذلك فهم يستندون إلى غياب فكرة الكهنوت في الإسلام وإستبعاد المؤسسات الوسيطة بين العبد وربه في الدين الإسلامي[١٨]. **ثانياً** على مستوى الممارسة، فالعلمانية الجزئية تسمح لبعض المؤثرات التغريبية أن تتمظهر في المجتمع مثل إنتشار العديد من الممارسات والعادات الإستهلاكية التي تضرب المجتمع وتعلمنة لا شعورياً. ومن ناحية إخرى، تعجز العلمانية الجزئية عن مقاومة التغريب ولا تطرح اي مشروع لمجابهته ويكفي ان نستشهد بما قاله الدكتور المسري نفسه عندما أوضح أن "العروس باربي وأصدقاؤها من أهم آليات إشاعة الأيديولوجية الاستهلاكية"[١٩]. ومن هذا المنظور لا تطرح العلمانية الجزئية أي آلية لمنع او لكبح جماح التغريب في المجال الإقتصادي على سبيل المثال فغالبية الأنظمة الإقتصادية المهيمنة في العالم ترتكز على مبادئ إقتصادية غربية وعلى رؤية علمانية شاملة للإنسان والكون، فكيف تتفق أليات العلمنة الجزئية مع أليات العلمنة الشاملة في بعض المجالات وتنحسر عنها في المجالات الإخرى.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور المسيري في معرض نقده للعلمانية الشاملة– على الرغم من العمق والموسوعية الشديدة التي إتسما بهما هذا النقد– قد تجاهل الجانب الثقافي (الذي يعني الهوية او النظام العام) كمرجعية حاكمة للمجتمعات الغربية، فعلى سبيل المثال لم يحاول المسيري رصد أسباب منع الحجاب في دولة مثل فرنسا على الرغم من تبنيها للعلمانية الشاملة– المرتكزة على الواحدية المادية

---

[١٨] حسين أحمد أمين، مقتبس من كتاب المسيري العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، صـ (٦٩).

[١٩] عبدالوهاب المسيري، "الإمبريالية النفسية"،
http://www.elmessiri.com/articles_view.php?id=24

(ISSN: 2536 - 9555)

الصلبة /السائلة– كرؤية معرفية للإنسان والكون ولماذا تتوقف الحكومات الغربية والفرنسية تحديداً عند هذا المدلول (الحجاب)؟ إن تجاهل المسيري لهذا الجانب الخطير من السلوك العلماني لا يجد ما يبرره، سوى غياب البعد الثقافي العام في خطابه النقدي للغرب فكما يقول طارق البشري أن الأصول العامة والمحيطة بالجماعة البشرية هي ما يسمى بالمرجعية أو المصدرية[٢٠] ويعرف البشري المرجعية بأنها:

المرجعية إذن هى مفهوم فكرى ثقافى يتعلق بالأصول الفكرية المرجوع إليها فى التقدير النهائى لبيان ما هو الصواب وما هو الخطأ، أو ما هو الصحيح وما هو الباطل الفاسد، أو ما كان يعبر عنه قديما علماء الكلام بقولهم، ما هو الحسن وما هو القبيح، وذلك فى تصرفات الناس وعلاقاتهم مع بعضهم البعض. وهى على سبيل البيان، **أولا** الأصول الفكرية والثقافة العامة التى تؤمن بها الجماعة، التى تشكل قوة التماسك الأساسية لها بوصفها البشرى. وهى **ثانيا** الأصول الفكرية والثقافية العامة التى تصدر عنها مبادئ المشروعية فى المجتمع، سواء بالنسبة للأوامر والنواهى التى يلتزمون بها فى علاقاتهم مع بعضهم البعض، أو بالنسبة لأحكام التعامل التى يتداولونها ويتبادلونها بينهم. وهى **ثالثا** الأصول الفكرية والثقافية العامة التى تتشكل منها هياكل النظم السياسية والاجتماعية المشخصة للجماعة والمنظمة لها بوصفها الاجتماعى والسياسى، سواء الجماعة السياسية العامة أو الجماعات الفرعية التى يتكون منها المجتمع من أسر وعشائر وقبائل وطوائف وحرف ومهن، وهى المنظمة لأنماط العلاقات الاجتماعية السائدة فى كل من ذلك[٢١].

---

[٢٠] طارق البشري، "في الجدل حول المدنية والدينية"، جريدة الشروق، ٧-١١-٢٠١١.
http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=07112011&id=b8c9c1e2-6774-4dae-9c8c-82d6cc7e494c

[٢١] طارق البشري، السابق.

إن غياب هوية محددة للمرجعية هو ما جعل طرح الدكتور المسيري للعلمانية الجزئية– كبديل او حل توفيقي لمعضلة العلمانية الشاملة ومركزية الإنسان في الكون– طرحاً هشاً وغير مجدي على صعيد الممارسة والتحقق. فمقاومة التغريب تستدعي وجود ثوابت واضحة ومحددة لهوية المجتمع ومن ثم يمكن لتلك الثوابت ان تتماهي مع إطروحات المجتمع فالعلمانية الجزئية لا تصف أو حتى ترسم طريقاً يهدف لإستقلال القرار الوطني/القومي على المستوى السياسي/الإقتصادي/ التعليمي أو حتي القيمي. وإذا إعتبرنا أن المشروع التغريبي هو مشروع غربي يهدف إلى فرض أنماط الحياة والنظام الغربي على دول المشرق، فإن هذا المشروع لا يمكن أن يجابه إلا بطرح الهوية والمرجعية الحاكمة للمجتمع والتي تحدد موقفها من هذا المشروع بناءً على ثوابت المجتمع القومية /الدينية.

خاتمة

ومما سبق يتبين لنا أن الطرح المعرفي للدكتور المسيري هو طرح غير متسق مع ذاته بمعنى أنة يطالب برؤية تتناقض مع ذاتها في آلية التحقق ولعل من الجدير بالذكر أن ما يؤكد موقفنا هذا هو غياب الفكر البديل في طرح المسيري بمعنى أننا قد نرى بعض الإشارات هنا او هناك في أماكن متناثرة في كتب الدكتور المسيري تومئ إلي طرح بديل لكن هذه الإشارات لا تحمل في طياتها فكراً بديلاً لما ينتقده المسيري، إن عجز المسيري عن إنتاج نظرية معرفية أو مفاهيمية تتسق مع نقده للخطاب الفلسفي الغربي تعزز تبنيه للفكر العلماني الذي نقده ولعل هذا مما يعمق فكرة أن المسيري ليس كاتباً إسلامياً فحتى وإن ايد الرأي الإسلامي في مواقف عدة إلا أننا لا نجد صدي لهذا الفكر في إطروحاته ولا نجد تحليلاً أو رصداً ومتابعه دقيقة له كما فعل في تحليلة للفكر العلماني.

(ISSN: 2536 - 9555)

المراجع

- إبراهيم، رزان محمود. "رحلة عبدالوهاب المسيري الفكرية: دراسة في المقاصد والمناهج". مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٦٨، ٢٠١٢.
- أركون، محمد. تاريخية الفكر العربي الإسلامي. بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.
- البشري، طارق. الحوار الإسلامي العلماني. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦.
- الراشد، حمد. دفاع عن العلمانية ضد المسيري. بيروت: مدارك، ٢٠١١.
- الشيخ، ممدوح. المسيري من المادية إلى الإنسانية. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨.
- الشهراني، فيصل. موقف عبدالوهاب المسيري من العلمانية: دراسة تحليلية نقدية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وإصول الدين، جامعة إم القرى، ٢٠١٢.
- القرضاوي، يوسف. التطرف العلماني في مواجهة الإسلام. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.
- المسيري، عبدالوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربيه. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧.
- ..... العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (المجلد الأول). القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.
- ..... اللغة والمجاز: بين التوحيد ووحدة الوجود. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠.
- ..... دراسات في الشعر. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧.
- ..... الأكاذيب الصهيونية: من بداية الإستيطان حتى إنتفاضة الأقصى. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢.
- ..... والتريكي، فتحي. الحداثه ومابعد الحداثة. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨.
- ..... وعظمة، عزيز. العلمانية تحت المجهر. دمشق: دار الفكر، ٢٠١٢.

- النملة، علي إبراهيم. الموسوعات الفردية: المسيري أنموذجاً. كتاب المجلة العربية. الرياض، مايو، ٢٠١١.
- حرفي، سوزان (تحرير). حوارات مع المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩.
- ..... (تحرير). حوارات مع المسيري: الثقافة والمنهج. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩.
- حسني، إسماعيل. علمانية الإسلام والتطرف الديني. القاهرة: دار مصر المحروسة، ٢٠٠٩.
- دواق، الحاج أحمد. "المنهج المعرفي التوحيدي عند عبدالوهاب المسيري: مدخل إلى الإبستمولوجيا التوحيدية". مجلة إسلامية المعرفة، عدد٦٨، ٢٠١٢.
- عبدالرازق، علي. الإسلام وإصول الحكم. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ٢٠١٢.
- عبدالرازق، عيد وعبد الجبار، محمد. الديمقراطية بين العلمانية والإسلام. دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩.
- غليون، برهان. إغتيال العقل. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩.
- ماضي، أحمد. نماذج من العلمانية في الفكر العربي الحديث والمعاصر. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥.
- مجلة وجهات نظر. (عدد خاص) المسيري: عمر في مواجهة الصهيونية. القاهرة: دار الشروق، ١٧-٨-٢٠٠٨.
- مرزاق، عبد القادر محمد. المداخل الكبرى لولوج فكر المسيري. مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٦٨، ٢٠١٢.
- ميلود، رحماني. الإنسان في المرجعية المتجاوزة عند عبدالوهاب المسيري. مجلة إسلامية المعرفة، عدد٦٨، ٢٠١٢.
- وريغ، لحسن وعبدالقادر، أشرف. (تحرير) العلمانية: مفاهيم ملتبسة. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

مراجع باللغة الإنجليزية

- Ali, Hagag. Modernity in the Discourse of Abdelwahab Elmessiri. Intellectual Discourse, Vol.19, No.1, p.71-96, 2011.
- Elmessiri, A. The Land of Promise: A Critique of Political Zionism. New Brunswick, N.J: North America, 1977.
- ----------. Towards a more Comprehensive and Explanatory Paradigm of Secularism. Encounters. Journal of Inter-cultural Perspectives, 2, 137- 54, 1996.
- Bauman, Z. The Fate of Humanity in a Post-trinitarian World. Journal of Human Rights, 1, 283- 303, 2002.
- ----------. Modernity and the Holocaust. Cambridge: Polity Press, 1989.
- Delanty, G. Modernity and Postmodernity. London: Sage Publications, 2000.
- Holyoak, George Jacob. The Origin and Nature of Secularism. Chicago: Open Court, 1896.
- Marcuse, Herbert. One-Dimensional Man. Massachusetts: Beacon Press, 1991.
- Nietzsche, Friedrich. The Will to Power. Trans. Walter Kaufman and R.J. Hollingdale. New York: Vintage Books Edition, 1968.
- Said, Edward. Orientalism. New York: Vintage, 1979.
- - -. The World, the Text and the Critic. Harvard: Harvard University Press, 1983.
- - -. Representations of the Intellectual. New York: Pantheon Books, 1994.
- - -. Power, Politics, and Culture. New York: Pantheon Books, 2002.
- Tarnas, Richard. The Passion of the Western Mind. New York: Ballantine Books, 1993.
- Zubaida, S. Trajectories of political Islam: Egypt, Iran and Turkey. Political Quarterly, Supplement 1, 71, 60-78, 2000.